إسهام ملوك تلمسان في الدفاع عن الأندلس من خلال نماذج شعرية ونثرية

الأستاذ الدكتور: عبد العزيز بومهرة
قسم اللغة و الأدب العربي
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

الملخـــص:

يبدو أن العالم الإسلامي، خلال النصف الثاني من القرن الثامن للهجرة، كان يعاني من شلل خطير، أصاب القلب في السويداء، وضرب الأطراف في الصميم، فنخر العظام، وفكك الأوصال. وأخذ الداء يسري فيه سريان الدم في العروق، فبات لا يكاد يبدي حراكا، ولا يستطيع منه فكاكا. ولا غرابة، بعد ذلك، أن دخلت الأندلس مرحلة الاحتضار لتضيع في القرن التاسع.

وفي هذا العهد سجَّلت الرِّسالة الديوانية – الرسمية، والقصيدة الشعرية حضورا قويا في الساحة السياسية، من خلال استثمارها وسيلة للتواصل بين صاحب غرناطة، المسنود بأعظم كاتب عرفه العالم الإسلامي آنئذ، من جهة، وسلاطين الدولة الزيانية من جهة أخرى.

وكان مضمونُ الحوار المتبادل يتعلق بالبحث عن المخارج الممكنة من الضائقة التي تمرُّ بها الجزيرة الأندلسية.

مدخـــل

كانت أحوال مسلمي المغرب والأندلس سيئة بئيسة، إذ شدَّد النصارى من حولهم الخناق، فتعرضت شواطئ إفريقية والمغرب لهجمات عنيفة مباغتة.

أما الأندلس فكانت الحلقة تضيق من حولها شيئا فشيئا، وأحوالها تسوء أكثر فأكثر، ولذلك كان مسلمو المغرب يشعرون بضرورة مساعدة إخوانهم هناك، بل إنهم يرون وجوب النُّصْرة قضية أخلاقية، ويُعِدُّون ذلك من الحوافز الدينية في صورَها الدنيا، بل من أضعف الإيمان أن ينهض المسلم مستنفر القُوّى ملبيا النداء؛ نداء أخيه المسلم الذي يستصرخه من وراء البحر.

والحقّ أن صرخة المسلمين هناك ظلت تدوِّي في جميع أرجاء العالم الإسلامي؛ فرسائل الصريخ والنجدة تهاطلت على فاسٍ كالقطر، وعلى تلمسان، التي كانت تعاني من هجمات متكررة يشنها جيرانها أصحاب فاس، كما توجَّهوا برسائلهم إلى تونس الحفصية، وإلى مصر المملوكية، وتقدَّموا متضرِّعين إلى مكة والمدينة، حيث يمَّم كل أندلسي مكروب، طاردته جحافل القشتاليين، وضاقت به الدنيا على رحابتها، يبث شجونه لربِّ السماوات والأرض، ويدعوه ليرأب الصَّدْع، ويفُكَّ الأسر، ويفرِّج الكَرب.

سجل النثر الديواني مراسلات كثيرة بين غرناطة، وعواصم المغرب، تتضمن تبادل هدايا، وهي في الأغلب مساعدات مغربية إلى مسلمي الأندلس.

والحقيقة أن المغاربة أبدوا عناية كبيرة بإخوانهم في هذا المجال، ولعلهم قصدوا بذلك تغطية قصورهم عن اجتياز البحر، وتخاذلهم عن مواجهة العدو مواجهة حقيقة.

احتفال الأندلسيين بالمساعدات المغربية: لقد تأكد مسلمو الأندلس أنهم في دار غربة، لا دار استقرار، ولن نستقصي التاريخ تأكيدا لذلك، بل نعمد إلى صورتين من الرسالة الديوانية لنرى حقيقة مشاعرهم. تَمثَّلَ ذلك أولا في صورة احتفالهم بالرسالة الواردة إليهم من المغرب، وثانيا في ترحيبهم بالهدية والإعانة التي يبعثها إليهم المغاربة أيضا؛ فالرسالة صارت "... تميمة لا تلتمع بعدها عين .."[1]، و".. قِلادة لا يحتاج معها زيْن."[2] يحتفلون بقدومها أيما احتفال، وينعتونها بأكمل الصفات وحميدِ الفَعال، ويطرونها شكلا ومضمونا، فيقولون ".. وصل كتابكم البرّ الوفادة، الجمّ الإفادة، السافرةُ غمامته البيضاء عن بدر السعادة، المتحَف بصنع الله الذي خرق حجاب العادة، فاجتلينا الغض من حلل سطوره وقرطنا الآذان بشذوره، وصدعنا في الحفل المشهود بمنشوره "[3]. هذه الأهمية التي اكتسبتها الرسالة المغربية تؤكد إحساس الأندلسيين بالغربة والضياع من جهة، وتبين، من جهة أخرى، مدى عمق الأواصر التي تربط بين العُدْوتين، بحيث تصبح الرسالة تميمة تشفي المريض، وتقيه شر الحسد القادم من جهة الشمال حيث الإسبان الذين يبغضون عيشهم بتلك الجزيرة، فيحاولون طردهم وتشريدهم؛ فالمريض هنا ربما يكون الأندلس برمتها.

وتتحول الرسالة، في صورة أخرى، إلى قِلادة يُستغني بها عن كلِّ الحلِى، فهل هنالك من فرحة تفوق هذه الفرحة في استقبال الرسالة القادمة من برِّ العُدوة. ثم تأمل هذا المدح والإطراء في بيان مضمون الرسالة وأسلوبها، وكيف تُلقى على المحتفلين. إنها نماذج للاحتفاء بالرسالة المغربية.

ولا شك في أن هذا الإطراء الذي حظي به أسلوب الرسالة من قبل أحد كبار الكتاب في ذلك العهد، وهو ابن الخطيب، يُعدُّ شاهدا على بلاغة

الرسالة المغربية التي لا نكاد نعثر لها على خطوط أو ملامح تكفي لتقويمها[4].

وأما الهدية فكانت موضع ثناء خاص لديهم، وقد أولوها عناية فائقة، وأعطوها قيمة رفيعة يقول لسان الدين بن الخطيب: " فقد تقرر جِبِلَّة مطبوعة وسنة متبوعة، أن الهدية تَغرس المحبة وتُثبتها، و{تسرِّح}[5] الأضغان وتوزِّعها، وتسلُّ السخائم وتنزِعُها "[6] ولم تكن هذه الأهمية التي يعطونها للهدية مرتبطة بمقدار، وإنما أوجبتها ظروف، وألزمتها روابط، من الأخوة والجيرة، فقالوا: وليس " أبين حجة من قوله صلى الله عليه وسلم، تهادوا تحابوا، من غير تبيين مقدار، ولا إعمال اعتبار، ولا تفرقة بين لجين ولا نضار. "[7] وقولهم أيضا ومن " المعلوم عامة وشرعا، والذائعِ الذي ليس له نُكرا ولا بدعا، أن الهدية وإن كان غيثها رذاذا، وحسناتها أفذاذا.. "[8] فهي محل ترحيب واحتفال لما تنطوي عليه من محبة وتقدير، بين هذه الدويلات التي يتطلع النصارى إلى التهامها الواحدة تلو الأخرى.

ويبدو أن كثرة الفتن التي تنهش العلاقة بين هذه الدويلات جعلتهم يحرصون على سُنَّة تبادل الهدايا، وإرسال المساعدات إلى الأندلس سعيا إلى تزكية النفس وتجميلها أمام الآخرين، وحفاظا على الحد الأدنى من علاقات الأخوة فيما بينهم.

وقد استُقبلت المساعدات المغربية بحفاوة كبيرة من مسلمي الأندلس فكيلت المدائح للسلاطين المغاربة، والثناء عليهم، ووُصفوا بالأوصاف الحميدة، وأسبغت عليهم أكبر النعوت وأوفرها من كرم، ونجدة[9] " ويالها من هدية اتخذ الناس يومها عيدا، وموسما سعيدا، وعزما رآه العدو قريبا "[10]، فقد كانت الاحتفالات تقام عند ورود الهدية، فيتعمد السلطان الأندلسي نشر أخبار الإعانة أو الهدية، حتى تعمَّ الأفراح[11]، وربما تشجيعا للبقية في مد يد

العون، ثم تنصب للسلطان خيمةٌ يستعرض منها الهدية، فإذا علم العدوُّ بورودها تأكد من أواصر الأخوة التي تشدُّ الأندلسيين إلى إخوانهم المغاربة، ويَحسِب لهذه اليد الممدودة، من برِّ العُدْوة، ألف حساب.

ولا شك في أن مثل هذه المساعدات كانت في النهاية سببا في تأخير بعض الاعتداءات التي يروم العدو تنفيذها. وفي رسائل صاحب غرناطة ما يؤكد ذلك إذ يقول: " ..وهذه البلاد، أيدكم الله، أسماعُ أعدائها مُصيخة إلى مثل هذه الأنباء، وقلوبُها من اتصال اليد بذلك العلا، محملة بأثقال الأعباء."[12] ويبدو أن صاحب غرناطة يتعمد بيان هذا الأثر السلبي على أعدائه من ملوك النصارى قصد تحفيز المغاربة على الاستمرار في إمداد الأندلس بالمعونة، التي هي، من دون شك، أضعف الإيمان الواجب عليهم إزاء إخوانهم المنقطعين في تلك الجزيرة الغريبة .

مساعـدات زيانيـة: كانت الأحداث المتسارعة التي تجري على أرض ما تبقى من الأندلس تؤرق المغاربة وتحزنهم بل وتدمي قلوبهم، ولكن أيديهم كانت قصيرة، حينا، ومقصِّرة، في أحيان كثيرة، أمام الخطر الذي يدهمها، ويزحف إليها وئيدا، تماما، كالسّمّ في العروق، وكان الأندلسيون لا يأنفون من استصراخ المغاربة، والزيانيين، منهم، بخاصة.

نهض ملوك تلمسان على رغم عداوة الجار الغربي، إلى بذل الجهد وإرسال الإعانة، والجند، إلى أهل الثغور، والمدن الأندلسية، التي ما زالت صامدة في وجه جحافل قشتالة المهاجمة.

وفي " بغية الرواد " ليحيى بن خلدون، و " نظم الدر والعقيان في تاريخ ملوك بني زيان " للتنسي، والريحانة لابن الخطيب، ونفح الطيب للمقَّري،

رسائل كثيرة وردت إلى تلمسان تطلب النُّصرة والعون، أو تشكر عليهما، وتمدح الصَّنيع وحسن الفَعال، وتدعو إلى إنقاذ ما تبقى من الأندلس.

صاحب غرناطة يخطِب وُدَّ ملوك تلمسان: ومن السَّلاطين الذين وُجِّهت إليهم هذه الدَّعوات أبو سعيد عثمان الذي أحيا الدولة منتصف القرن الثامن.

كانت رسائل ابن الخطيب، عن سلطانه الغرناطي، تصل إلى تلمسان بمجرد إعادة إحيائها من قبل أبناء زيان، فعند منتصف القرن الثامن وصلت رسالة تهنئة لأبي سعيد عثمان تشيد بجهوده في هذا المجال، فقد سجّلت رسالة قادمة من الديوان الغرناطي تهنئة السلطان لصاحب تلمسان الجديد الذي "... نظم من عقود الدولة ما انتثر ..."[13]، واستأنف المجد التليد، وبعد أن كان يكيل عبارات المديح، والإجلال لهذا القبيل، عاد يغمز من قناة بني مرين، مرددا قول الشاعر على لسان المغرب الأوسط ".. نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى " ويقول صاحب غرناطة مقررا ذلك " ... فعظم الاستبشار، بأن كان إليكم مُلكها، وفي يدكم اختبالها من غير أن يعلق بأسبابها من ليس بأربابها، ويطمع في اكتسابها، من لم يكن في حسابها، وقلنا إنما هو إرث وجب، وعاصبٌ حجب، وركب عاج بعد القفول، وشمس طلعت بعد الأفول، وجيد حلي بعد ما اشتكى العطل ..."[14].

وتشير رسالة أخرى إلى فضل آبائه وأجداده في إرفاد الأندلسيين وإعانتهم. يقول: " ومن قدّم في سبيل الله ما قدَّم ذلك السَّلف الذي درج، وأخلص في إمداد الإسلام وإرفاده العمل الذي إلى مرقى القبول عرج، كيف لا يقيل الله دولته إذا عثرت، وينظم عقودها إذا انتثرت، ويحيى أثارها بعدما درست،... فهذا القطر الجهادي هو ميدان الأعمال الصالحة وسوق التجارة الرابحة " [15] ويبدو أن أبا سعيد عثمان قد ردَّ التحيَّة بأحسن منها، فأرسل هدية إلى

غرناطة، مما أوجب على صاحبها الرد برسالة من إنشاء لسان الدين بن الخطيب يشكرهم فيها[16] ويقول: " فلو استطعنا، لا تمر ساعة إلاَّ عن مكاتبة بيننا وبينكم تتردد، وذمام كريم يتأكد،... وفي هذه الأيام وصلنا كتابكم صحبة الخيل التي تفضلتم بإهدائها,... فكرم عندنا موقع ودّكم، ووصلنا الثناء على أصالة مجدكم, وقلنا فضل صدر عن محلِّه وبِرّ جاء من أهله, وإعانة وصلت من مكان الإعانة والإمداد، والمعاضدة في سبيل الجهاد، وماجدٌ سلك سبيل سلفه الأمجاد "[17].

واستمر السلطان أبو سعيد في إرسال المساعدات إلى الأندلسيين، واستمر لسان الدين في الشكر والمدح، فقد وردت رسالة ثالثة[18] يصرح فيها بالشكر على المساعدة فقال: " ووصل صحبته (يعني رسول السلطان أبي سعيد) ما حمَّلتم جفنه (السفينة) من الطعام إغاثة لهذه البلاد الأندلسية " [19].

وكانت هذه السفينة محملة بالأطعمة والخيل المسومة إعانة لهم على الجهاد، وردِّ الأعداء، وهي كما في رسالة من غرناطة "... رشة من غمام، وطليعة من جيش لَهَام. "[20] أو هكذا يتمنى صاحب غرناطة الذي أجاب شاكرا، ومحفِّزا إلى المزيد. وقد صادف وصول السفينة فتح حصن "قنيط" المجاور لمدينة مالقة، فأُطعم الجيش المنتصر هناك من طعام السفينة[21]، كما وصلت الأندلس من السلطان نفسه[22] خيل عتاق على سبيل الإمداد والمعاضدة ، وتسهيل أمور الجهاد على الأرض الأندلسية[23] .

أما أبو حمو موسى الثاني الذي أحيا الدولة الزيانية [24]، بعد ذلك، وكان أديبا كبيرا ينظم الشعر ويؤلف الكتب، فقد ظلت المراسلات بينه وبين صاحب غرناطة مستمرة، وكثيرا ما أبدى رغبته الصادقة في إرفاد الأندلسيين وإغاثتهم. وقد وصلته رسالة من لسان الدين[25] في تهنئته عقب

تولِّيه مباشرة يقول فيها: " وقلنا إرث ردَّه الدهر على أهله، وشيء عاد إلى محله، وجيد زُيِّن بعقده، وسيف أعيد إلى غمده، وبدر عاد إلى إبداره من بعد سراره، وساكن رجع إلى داره، وفلك استقام على مداره " [26].

وقد سارع إلى نجدة المسلمين بالأندلس، فأرسل الأموال الجمَّة، وأخذ يجند مواطنيه، ويدعو الناس من الأمصار المجاورة إلى الاستنفار، وسهل لهم سبيل الوصول إلى الأندلس بإنشاء الأساطيل، وإعدادها لهذا الهدف النبيل.

وضاقت الأحوال بالأندلسيين وتكالب عليهم الإسبان بتدخل من كبيرهم (بابا الروم)، فاستصرخ ملكُها الغنيُّ بالله أبا حمو برسالة كتبها ابـــن الخطيـــب، ومعها قصيدة من نظم أبي البركات إبراهيم البلِّفِيقي، يقول فيها: [27] (الكامل)

هلْ من مُجِيبٍ دَعْوَة المُسْتَنْجِـــدِ ... أمْ من مُجِير للغَرِيـــبِ المفْرِدِ
هلْ من ولِي نَاصر دِيـــن الهُدَى ... أوْ ذِي حِمًى يَحْمِي حَنِيفةَ أحْمَدِ
هلْ من مُعِينٍ أوْ كَرِيـــمٍ يرْتجى ... أوْ مُسعدٍ أو مُرْشِـــدٍ أو مُنْجِـــدِ
هلْ من جَوَادٍ فِي الزَّمَانِ مؤملٍ ... أوْ آخِذٍ عِنْدَ الشَّدَائِـــدِ بِاليَـــــدِ
هلْ راحم لِعِصَابَةٍ مَقْطُـــوعَـــةٍ ... مَا بَيْن أعْدَاء أوْ بَحْرٍ مزبِـــــدِ
هلْ نَاظر فِيـــهِم بِنَظْرَة رَحْمَة ... يَرْجُو بِهَا نَيْلَ الشَّجَاعَةِ فِي غَـــدِ
هلْ وَاصل لِذمَامهم أوْ سَـــامِعٌ ... لِصَرِيخهم فِي نَصْرِ دِينِ محمدِ
هلْ من طَبِيـــبٍ مَاهِرٍ متَدَارك ... رَمَقَ الجَزِيرَة قبل حتف مجهدِ

أبيات ثمانية، استهلّها باستفهام ذي أداة واحدة تتكرر (هل .. هل.. هل)، فيخلّف كل بيت منها إيقاعًا حادًا، يعكس توتّرًا و هلعًا، عبّر به الشّاعر عمّا يجيش في نفوس الأهل والمواطنين الأندلسيين من المصير المجهول، الذي ينتظرهم على أيدي القشتاليين الإسبان.

هذه الأبيات التي يستهلّها البلِّفِيقي بأسلوب استفهامي هي عبارة عن تأوّهات، واستصراخ، وتساؤلات، عمّا يعانيه الأندلسيون في حاضرهم و ما ينتظرهم في مقبل أيّامهم.

يقول مصوّرًا راهن الأمّة الأندلسية:

هل راحم لعصابةٍ مقطوعةٍ ما بين أعداءٍ أو بحرٍ مُزْبِـــــدِ

و لعلّه من المصادفات الغريبة أنّ هذه الصّورة التي رسمها الشّاعر اليوم وشمس الفردوس المفقود يتأهب للمغيب، هي الصّورة نفسها التي رسمها طارق ابن زياد لجنده القادم من المغرب يُزْمِعُ فتح الأندلس للإسلام، و جعْلِها موْطِنًا عربيًا إسلاميًّا. يا لسخرية الأقدار، ثمانية قرون ما بين الصّورتين، ولكن لا شيء يجمع بين اليوم و الأمس؛ بالأمس قوّة و بأس شديد، و إيمان قوي بالرّسالة، وثقة في المستقبل، و اليوم الانهيار المروّع لكلّ القيم، و لكلّ الأرض، فسبحان الّذي يُغيّر و لا يَتغيّر.

أما الرسالة فتشرح الأحداث التي جرت بين الأندلسيين من جهة، وبين نصارى الشمال من القشتاليين، واستعداداتهم لمهاجمة ما تبقى من الأندلس من جهة أخرى. يقول : " وبالله نستظهر على هذا الخطب العظيم، ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، ولا مفزع بعد الله لهذه الأمة في الشدائد إلا إلى المسلمين إخوانهم في الدين، ورضائعهم ثدي كلمة التوحيد، وشركائهم في إرث الدعوة المحمدية، والفضلاء الذين لا يتهنؤن العيش مع صراخ الجار، وضيم أخي الملة، ولا يلتذون النعيم مع بؤس الأحبة، وقد كنا عجّلنا تعريفهم، وتعريف الجهة المرينية خروجا عن العهدة، وإبلاغا لضرورة الإسلام، وتذكيرا بوجوب الإعانة على من يرجو لقاء ربه من المسلمين، فصدر الجواب منهم بما يرضي القلوب من الإعانة،

والامتعاض والمساهمة، والشروع في المبادرة، وتعيين المعونة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، ومثلكم من يتنافس في الخير، ويساجل في البر، ويرغب في بقاء الذكر، وقبول القربة، وإرضاء الله في عباده، والرسول في أمته، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون".[28]

وقد ردّ أبو حمو على هذه الصّرخة، واستفزّته أريحيّة الشّجاعة، وعطفه على غرباء المسلمين بالعُدوة، ولكن البحر الزاخر حجزه عن العبور لإنجادهم بنفسه، فأمدهم بالأحمال الجمّة من الذهب والفضّة والجياد، و شحن إليهم المراكب بالأغذية والأطعمة، فردّ عليه صاحب غرناطة برسالة شكر من إنشاء لسان الدين بن الخطيب[29] عرض فيها لأخبار الغزو والجهاد، وكيف أنهم، بعد تحرير حصن "أشرناني" بجبل الفتح، تركوا جماعة من قبيل صاحب تلمسان مرابطين به، فهيأ الله لهم نصرا كبيرا على العدو حين حاول العودة، وتمّ قتل زعيمٍ كبيرٍ من النصارى، والسيطرة على المناطق المجاورة.

وقد حفلت الرسالة بعبارات الثناء، وأطنبت في تقديم ألوان الشكر، والمديح لأبي حمو موسى الزياني على هذه المعونة.

ويبدو أن آخر اتصال بين الدولتين انتفى عنه الطابع الرسمي، فقد كانت هذه الرسالة التي كتبها لسان الدين بن الخطيب شخصية، فتغير مبناها لتغيُّر دلالتها، استهلها بقصيدة طويلة مدحه فيها [30]، يقول:

أسدُ الهِياجِ إذا خطَا قُدُمًا سَطَا فتخلَّفَ الأسدَ الهِزَبْرَ فَرِيسَا
غيث النّوَالِ إذا الغَمَامُ حَلوبةٌ مثلت بأيْدِي الحَالبين بسوسا

وقال فيها مذكّراً بالإعانات التي أرسلها أبو حمو إلى الأندلس[31].

أنتَ الذي أمْدَدتَ ثَغر الله بِالصَّــ دقَــات تُبْلِس كَرَّةً إبْلِيسَــا
وأعَنْــتَ أنْدَلُسَــا بِكُلِّ سَبيكَــةٍ مَوْسُومَةٍ لا تعرف التَّدْلِيسَا
إن لَمْ تُجرِ بهَــا الخَمِيس فَطَالَمَا جهّزت فِيــهَا للنوَال خَمِيسَا

وَملأت أيْديها وَقَد كَادَت عَلَـــى حُكْم القَضَـــاءِ تشَافه التَّقْلِيسَا

وقد أعقبها برسالة من بديع نثره، تمثل مضمونها في التقرب من أبي حمو ملك تلمسان، والتودّد إليه، بعدما أفلح الوشاة والحاسدون في إفساد العلاقة بين الوزير وصاحبه ملك غرناطة، وعظمت الوحشة بينهما، واتسع الفتق ولم يعد رقعه ممكنا، فكأنه يؤمّن لنفسه مأوى، وموطنا جديدا إذا جدّ الجدّ وبات الأمر بلا دافع أو راد.

ويبدو أن المغاربة، عموما، قد أنفوا مباشرة الجهاد بأنفسهم، على الرغم من أن رسائل صاحب غرناطة الكثيرة لا تخلو من الدعوة إلى الجهاد، وذكر فضائله، وتحفيز الهمم لاجتياز البحر من أجله، لكن من دون جدوى، فقد اكتفوا بإرسال الهدايا، وإمداد الجزيرة بما يمكنها من الردِّ على العدوِّ وصدِّه، وتيسير أسباب الثبات والمقاومة لها.

ولكن أياما عصيبة مرَّت على المسلمين بالجزيرة الغريبة، كما يحلو لهم تسميتها، حملتها رسائل استصراخ ثائرة في وجه سلاطين المغرب، تطلب منهم النهوض بالواجب، وتَحَمُّلِ مسؤولية إنقاذ إخوانهم، ودينهم المهدَّد في الأندلس.

وعبثا يستجدي ابن الخطيب عبارات التحفيز، ومأثور القول من القــرآن والحديث، وكلام الصحابة، ليبعث الحيــاة في سلاطين العُدوة المغربية[32]. لكن لعنة ابن خلدون[33] تعاورُ الجزيرة الأندلسية، إلى النهاية، وتعركها عرك الرحى.

لقد كان المسلمون يمرون بأوقات عصيبة في بعض حروبهم، حين ينقصهم الطعام أو المال[34]، أو كلاهما معا "فإلى متى تمضي ركاب

الصبر.."[35] والمسلمون في غفلة ساهون، قد شُغلوا عن الآخرة بالدنيا، وقل من أنار الله بصيرته.

هذه صرخة أندلسي بائس[36] يائس بسبب نكوص المغاربة عن نجدتهم، وطول تعلُّلِهم بافتعال الفتن الداخلية، ولعل ما يحزُّ في النفس، ويدمي القلب، أن همَّهم كان، دائما، محصُورا في الحفاظ على العرش، ولذلك طرحوا، جانبا، أية مغامرة تمس بطمأنينتهم على الأريكة، أو تزحزحهم من فوقها، تماما كما تصرَّف المعتضد عبَّاد حين جاءته أبيات أبي حفص عمر الهوزني مستصرخة إياه عند واقعة بربشتر[37] الشهيرة منتصف القرن الخامس للهجرة. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

الهوامـــش:

1 – رَيحانة الكُتَّاب ونُجْعة المُنتاب للسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي، القاهرة 1980. 1/ 182.

2– المصدر نفسه 1/ 182.

3– المصدر نفسه 1/ 250.

4– انظر على سبيل المثال، لتأكيد كثرتها:

أ– الريحانة 1/ 182–183–390–421–440–510.

ب– نفاضة الجراب في علالة الاغتراب لأبي عبد الله لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق أحمد مختار العبادي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة (د . ت) ص 247.

5– لعل الأصح هو ما أثبتنا كما جاء في: كناسة الدكان بعد انتقال السكان للسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي. القاهرة (د. ت): ص 57. وليس (و تصرح) كما جاء في المتن.

6– الريحانة 1/ 389.

7– المصدر نفسه، 1/ 487.

8– المصدر نفسه، 398/1.

9– المصدر نفسه، 1/ 394 ، 405، 411، 412 ، 414 ، 417.

10– المصدر نفسه، 1 / 405.

11– المصدر السابق، 1 /410.

12– المصدر نفسه، 390/1.

13– الريحانة 1–265.

14– المصدر نفسه 1–267.

15–المصدر نفسه 1–268.

16– الريحانة 413/1.

17– الريحانة 414/1–415.

18– المصدر نفسه 415/1.

19- المصدر السابق 417/1.

20- الريحانة، 417/01.

21- المصدر نفسه، 01/ 418.

22- هو أبو سعيد عثمان (748-752)، أحيا الدولة عقب هزيمة أبي الحسن في القيروان. انظر عنه:

ـــــــــــــ بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون، تحقيق عبد المجيد حاجيات, الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, الجزائر 1980 . 01 / 240 .

ـــــــــــــ الريحانة 01 / 416.

23- المصدر نفسه 01/ 414-415.

24- بغية الرواد 02/ 176-177.

25- الريحانة 269/1.

26- الريحانة 271/1

27- البغية 167/2

28- المصدر نفسه 172/2-173

29- جاءت الرسالة جوابا على هدية أبي حمو، وقد سجلها يحي بن خلدون في بغية الرواد 02 /174-181.

المقصود هنا هي مقولة ابن خلدون الشهيرة عن أعمار الدول، ومراحل تطورها: كتاب العبر 300/01- 304.

30- النفح 197./06

31- المصدر نفسه 199./6

32- الريحانة 1/ 381.

33- المقصود هنا هي مقولة ابن خلدون الشهيرة عن أعمار الدول، ومراحل تطورها: كتاب العبر 300/01- 304.

34- الريحانة 1/ 378-379..

35- المصدر نفسه 1/ 379.

36- البائس: المُبتلى

37- أول مدينة أندلسية تسقط في أيدي الإسبان (النورمان)في منتصف القرن الخامس للهجرة (456 هـ) انظر عنها:

- الذخيرة لابن بسام, تحقيق: إحسان عباس, الدار العربية للكتاب, ليبيا/تونس, 1981. 82/01/02-88، 179/01/03.

- البيـــان المـــغرب لابن عذاري, تحقيق: ج س.كولان و إ. ليفي روفنسال. دار الثقافة, بيروت. ط 02. 1980. 253/03.

- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد, تحقيق شوقي ضيف, دار المعارف, ط3, 1980. 230/ 01، 21/02.

- الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري, تحقيق إحسان عباس,مكتبة لبنان, بيروت, 1975.ص 90-91.

- نفح الطيب للمقري التلمساني. تحقيق إحسان عباس، دار الفكر، بيروت 1968. 449/ 04.

- علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية لخليل إبراهيم السامرائي ص 58.

- الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، لجمعة شيخة، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، 1994. ص 22.

المصـــادر والمراجـــع:

1- الأعلام لخير الدين الزركلي. دار العلم للملايين بيروت. ط 07. 1986.

2- إعتاب الكُتَّاب لابن الأبار، تحقيق، صالح الأشتر، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1961.

3- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون، تحقيق الفريد بيل. الجزء 02/ طبعة الجزائر، 1910.

4- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد لأبي زكرياء يحيى ابن خلدون تحقيق عبد المجيد حاجيات. الجزء 01/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر .1980
5- البيان المغرب لابن عذاري, تحقيق: ج س. كولان و إ. ليفي بروفنسال. دار الثقافة، بيروت. ط 02. 1980.
6- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية لأبي عبد الله محمد الزركشي، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.
7- الذخيرة لابن بسام، تحقيق: إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا /تونس, 1981.
8- ديوان ابن الأبار، تحقيق عبد السلام الهراس. الدار التونسية للنشر 1985.
9- الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975
10- روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الأحمر. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور المطبعة الملكية، الرباط. .2003
11- رَيحانة الكُتَّاب ونُجْعة المُنتاب للسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان. مكتبة الخانجي، القاهرة 1980.
12- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس الناصري، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري. دار الكتاب، الدار البيضاء 1997.
13- علاقات المرابطين بالممالك الإسبانية وبالدول الإسلامية لخليل إبراهيم السامرائي، دار الحرية للطباعة بغداد، .1985
14- الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، لجمعة شيخه، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، .1994

15- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لأبي زيد عبد الرحمن ابن خلدون (808هـ). دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت.

16- كناسة الدكان بعد انتقال السكان لأبي عبد الله لسان الدين بن الخطيب، تحقيق محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي. القاهرة (د . ت).

17- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، للسان الدين ابن الخطيب، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979 ط.2

18- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن لمحمد ابن مرزوق التلمساني، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981.

19- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، 1980.

20- النبوغ المغربي في الأدب العربي لعبد الله كنون. دار الكتاب اللبناني – بيروت، 1975 ط .03

21- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بدري الأتابكي. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. مصر.

22- نفح الطيب للمقري التلمساني. تحقيق إحسان عباس، دار الفكر، بيروت 1968.